من الحكماء الالهيين ان كل حادث ذو اعتبارين اعتبار من ربه وهو حقيقته من ربه وهو الوجود و
اعتبار من نفسه وهو حقيقته من نفسه وهو الماهية وهذا مما لا ريب فيه لانه لو لم يكن له جهة من
ربه لاستغنى عنه سواء اريد بالجهة مادته وايجاده ام احدهما ولو لم يكن جهة من نفسه لم يكن هو
اياه بل لم يكن شيئا اصلا اذ جهته من نفسه هي شيئيته وهويته وانيته وكل ما يرد على الاقوال
الثلاثة المتقدمة فهو دليل لهذا القول وهو الحق والجامع لثبوت التركيب هو ان الشيء المخلوق
لا يتحقق الا بفعل وانفعال والفعل من الفاعل والانفعال من نفس المخلوق وذلك مثل خلقه
فالمخلوق فالوجود الذي هو المادة من خلق وهو الذي من ربه والماهية التي هي الصورة
من المخلوق وهو الذي من نفسه وحيث لا يتحقق الفعل الا بالانفعال كالكسر مع الانكسار
لا يتحقق الوجود الا بالماهية فان هذه الحق هذه العبارات المكررة المرددة والافلا
نفهم من غيرها **ذلك** لان الوجود شرط كونه صدوره او استمرارا الماهية والماهية شرط
تكونها انصدادا او استمرارا الوجود فاذا اما موجودين متقومين فالشيء موجود ولا شيئية
للشيء مع فقد احدهما ولا للاخر والوجود مادة لنفسه وصورته لنفسه ارتباط الماهية به
والماهية مادة لنفسها وصورتها ربط الوجود بها قال الله سبحانه هن لباس لكم وانتم
لباس لهن بهما الشيء فهو مركب منهما ابدا **اقول** بعد ان ذكرت ان الشيء هو الوجود والماهية
وانه مركب منهما اذ لا يمكن تحقق احدهما بدون الاخر لان كل شيء ممكن زوج تركيبي ذكرت بعض
ما يتفرع على ما ذكرنا وبعض اسباب ذلك وجواب اعتراض اورد على قولنا ان كل ممكن زوج
تركيبي يعني انه مركب من مادة وصورة وهو انه اذا قيل ممكن مركب من المادة والصورة يعني الوجود
والماهية فالوجود نفسه ممكن فهو اذا مركب من المادة والصورة والماهية نفسها مركبة من
المادة والصورة بل والصورة في المرآة ايضا مركبة من المادة والصورة ويلزم التسلسل والجواب
اما عن الاول اعني ان احدهما لا يتحقق بدون الاخر لا في اصل صدوره ولا في استمراره فلانا قدمنا
انه لا يمكن بدون الاعتبارين اي اعتبار من ربه واعتبار من نفسه وهذا اللحاظ جار وعبر في صدور الشيء

واستمر

واستمراره لانه متقوم بفعله تقوم صدور في الصدور وفي البقاء كما ترى من تقوم النور بالمنير
والصورة في المرآة بالمقابلة واما تقوم احدهما بالاخر وانه لا يمكن ان يكون المخلوق بسيطا
مطلقا فلان المخلوق لما لزم ايجاده الفعل والانفعال وهما متضادان لان الفعل من الفاعل
والانفعال من المفعول والفعل نازل من العالي الى السافل والانفعال بالتكون من السفل
الى العلو والفعل جهة الفناء الذي هو النهاء والانفعال جهة البقاء الذي هو الفناء والفعل
لمنشأ الفقر الذي هو الاستغناء والانفعال لمنشأ الاستغناء الذي هو الفقر والفعل مبدأ
الموافقة والطاعة والانفعال مبدأ المخالفة والمعصية تعذر قيام الشيء المحدث بدونهما
لا يتحقق الا بهما من نحو ما ذكرنا اذ البساطة تنافي اختلاف الجهتين اللتين لا ينفك الحادث عنهما
ولو شاء الله شيئا كان ما شاء ولكنه بطور فوق طور ما تدركه العقول والى عدم ايجاد
بسيط والى امكانه في مشية الله اشار الرضا بقوله ان الله لم يخلق شيئا فردا قائما بذاته دون
غيره للذي اراد من الدلالة عليه واما ان كل واحد منهما مركب من المادة والصورة حتى
الصورة في المرآة مركبة من المادة والصورة فلانا قلنا ان واحدا منهما لا يقوم بدون الاخر
فاذا اعتبرنا الوجود نفسه ليتحقق في التعبير عنه وفي المفهوم وفي الذهن كانت مادته نفسه
وصورته انضمام الماهية اليه اما في التعبير عنه فلانك تقول وجود فتنظر الى فواده انيته وهو
الماهية فانها الازمة له لا يمكن عنه اذا اعتبر له اعتبار من نفسه لانه هو الماهية كما مر واذا اعتبرنا
الماهية نفسها كذلك كانت مادتها نفسها وصورتها ربط الوجود بها بعطفها اذا ذكرت
في العبارة عنها وفي مفهومها وفي الذهن ان لها نوع وجود ما بالنسبة فتظهر في محل ما ذكرت به
وما ذكرت به هيئتها فهو صورتها وفي التاويل هن لباس لكم وانتم لباس لهن وهذا في تاويله
والتمثيل به على حد ما ذكرنا في امر الوجود والماهية والاصل في الاسباب والمسببات اذا ارتفعت
معدودا ولا انتهت الى التضاد والتساوق في الظهور فينقطع التراكم المذكور لانه اذا فقد
الاخر واذا وجد احدهما وجد الاخر هذا في الشيء يكون الوجود مادة والماهية صورة ما دام ما

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)